منهج ابن السكون الحلّي وجهوده في ضبط (نهج البلاغة)

د. محمد هادي القندهاري
عضو الهيأة العلمية في جامعة آزاد الإسلامية
فرع الشمال، طهران

د. مصطفى دلشاد
عضو الهيأة العلمية في جامعة القرآن والحديث
طهران

د. قاسم شهري
طالب دكتوراه
في جامعة القرآن والحديث

الملخص

تُعدّ الحلّة الفيحاء من المدن المشهورة في الحضارة الإسلاميّة، وقد كانت في بعض العصور مركزاً للعلم والثقافة والحضارة، وكان لعلمائها الدور الريادي في التراث العلمي الإسلامي. ومن أهمّ جهود علماء الحلّة الفيحاء هو الحفظ والضبط والتوسعة للتراث الحديثي ــ ولاسيما نهج البلاغة والصحيفة السجّاديّة ــ. ويعد ابن السكون الحلّي من العلماء المنسيّة جهودهم في مجال النهج الشريف، فإنّ ضبطه ونَسْخَه لنهج البلاغة من أهمّ وأفضل النَّسْخ والضبط للنهج الشريف، وهذه المقالة تسعى لدراسة جهود هذا العالم في النهج الشريف ومنهجه في ضبطه.

Ibnus-Sakoon Al-Hilli's Approach and his Efforts in Adjusting Imam Ali's Book (Nahjul Balaghah)"The Peak of Eloquence"

by Dr Muhammad Hadi Member of Scientific Staff| Azad Islamic University| Tehran, Dr Mustafa Dilshad Member of Scientific Staff| University of Qur'an and Tradition| Tehran, and Qasim Shahri, Ph D Candidate University of Qur'an and Tradition| Tehran

Al-Hilla is considered one of the famous towns in the Islamic civilization. In some eras, it was a centre of science, culture and civilization. Its scholars had a pioneering role in the Islamic scientific heritage.

Some of the most important efforts of the scholars of Al-Hilla are memorization, adjusting and expanding the tradition heritage, especially Nahjul Balaghah "The Peak of Eloquence" and Assaheefah Assajjadiyah "The Scripture of Imam Sajjad". Ibnus-Sakoon Al-Hilli is considered one of those scholars whose efforts have been forgotten as regards "The Peak of Eloquence". In fact, his adjusted and copied version of "The Peak of Eloquence" is the best and the most important copy. The present paper attempts to shed light on the efforts of this scholar in this respect.

المقدّمة

لقد امتاز أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام باقتفاء آثارهم والاهتداء بمآثرهم؛ وذلك أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم مجمع الكمالات ومنابع الحكم وأرباب الفصاحة والبلاغة، وفي ما يخصّ البلاغة وفصاحة اللسان قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه».[1]

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبته بالشام: «أيها الناس! أعطينا ستّا، وفُضِّلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين».[2]

وهكذا كلّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وإنّما اقتصرنا على ذكر كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّ عمدة كلامنا سيكون حول نهج البلاغة، مع العلم أنّا قد تناولنا البحث عن الصحيفة السجّادية في مقالة مستقلّة[3]، وعلى أيَّةِ حال فهما ـ أي (نهج البلاغة) و(الصحيفة السجّاديّة) ـ الأثران الخالدان اللذان أعجزا الفصحاء والبلغاء، واحتويا على شتَّى المعارف والعلوم، ومن هنا دأب العلماء والأدباء على العكوف على روايتهما وشرحهما وضبطهما وبيان وجوه بلاغتهما ودقائق المطالب والعلوم فيهما.

ومن أهمّ المراحل التي عُني بها بنهج البلاغة والصحيفة السجّادية هي مرحلة أواخر القرن الخامس والسادس والسابع والثامن من الهجرة، ولاسيَّما علماء الحلة الفيحاء، إذْ كانت مقرّ العلماء والفضلاء والأدباء، وقد أَسّسوا الأُسس لمن جاء من بعدهم، وممّا يُؤسف له أنّه لم تُستقصَ إلى الآن ـ حسب علمنا ـ جهود علماء الحلّة الفيحاء في هذين الكتابين.

فقد اهتم في نهج البلاغة ـ من علماء الحلة ـ أسماء لامعة كثيرة جمعت بين العلم والأدب، كالأديب الكبير علي بن محمّد بن السكون الحلّي (ت حدود ٦٠٠ أو ٦٠٦هـ)، والسيد علي بن طاوس (ت ٦٦٤هـ)، وعلي بن أحمد السديدي الحلي (ت ٦٨٨هـ)، والعلّامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، وأحمد بن محمّد بن إسماعيل الحدّاد البجلي الحلي (كان حيا ٧٢٨هـ)، وعبد الرحمن ابن العتائقي (نحو ٧٩٠هـ)، وغيرهم.

وأمّا اهتمامهم بـ(الصحيفة السجّادية)، فنجد الجهود الحثيثة عند ابن إدريس الحليّ (ت ٥٩٨هـ)، وابن السكون الحلي، وعميد الرؤساء هبة الله بن حامد الحلي (ت ٦٠٩هـ)، وعلي بن طاوس، والسديدي، والعلّامة الحلي، وغيرهم.

وإذا كانت جهودهم في الصحيفة السجّادية قد عُني بها، فإنّ جهودهم في نهج البلاغة لم يُعتَنَ بها كما ينبغي.

وعلى كلّ حال؛ فإنّ رواية النهج والصحيفة في هذه المرحلة أصبحت أساسا لمن أتى من بعدهم من العلماء الأدباء، لرواية وضبط وتصحيح هذين الكتابين الشريفين.

حياة ابن السكون الحلّي

هو أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن علي بن محمّد بن محمّد بن السكون الحلّي، المعروف بابن السكون[٤].

ذكر ابن النجّار نسبه بشكل أتمّ، فقال: علي بن محمّد بن محمّد بن علي بن محمّد بن محمّد بن زاهر بن علي بن محمّد بن السكون، أبو الحسن بن أبي طالب[٥].

وقال الميرزا الأفندي: المشهور في ابن السَّكُون هو بفتح السين المهملة[٦]، وقد يقال بضمّها[٧].

وليعلم أنّه قد يرد في بعض

المواضع: علي بن محمّد بن علي بن السكون، وتارة: علي بن السكون، ونحوهما من التعبيرات أيضاً، والمآل في الكلّ واحد، وذلك لأنّها كلّها من باب الاختصار وحذف بعض أسامي الأجداد، فلا تظنّنّ التعدّد فيها[٨].

ولم ينصّ أحد على ولادته حسب تتبّعنا، ولكن ابن النجّار يقول: ذكر الشيخ ابن علي بن الحلّي الأديب [كذا]: أنّ علي بن محمّد بن السكون توفّي في حدود سنة ٦٠٦هـ، وقد جاوز السبعين[٩]، ومثله نقل السيوطي[١٠]، وذكر غيرهما أنّه توفّي في حدود سنة ٦٠٠هـ[١١]. فمن هذا يُعلم أنّ ولادة ابن السكون تكون في حدود سنة ٥٣٠هـ أو ٥٣٦هـ.

وأمّا قبره، فيقع الآن في محلّة الجباويين في الحلّة الفيحاء[١٢].

وقال ياقوت الحموي: كان عارفاً بالنحو واللغة، حَسَن الفهم، جيّد النقل، حريصاً على تصحيح الكتب، لم يضع قطّ في طرسه إلّا ما وعاه قلبُه، وفَهِمَه لُبُّه، وكان يجيد قول الشعر... وله تصانيف[١٣].

ونقل الصفدي ما قاله ياقوت، ثمّ قال: وقال محبّ الدين ابن النجّار: قرأ النحو على ابن الخشّاب، واللغة على ابن العصّار، وقرأ الفقه على مذهب الشيعة وبرع فيه وكان يدرّسه.

ثم قال: وذكر لي الحسن بن معالي الحلّي النحوي: أنّه كان متديّناً، كثير الصلاة بالليل، وفيه سخاوة ومروءة، سافر إلى مدينة النبيﷺ وأقام بها، وصار كاتباً لأميرها، ثمّ قدم الشام ومدح السلطان صلاح الدين، ومن شعره:

خذا من لذيذ العيش ما رَقَّ أو صفا
ونفسكما عن باعث الهمّ فاصرفا
ألم تعلما أنّ الهموم قواتلٌ
وأحجى الورى من كان للنفس مُنْصِفا
خليليّ إنّ العيش بيضاء طفلة
إذا رشف الظمآن ريقتها اشتفى

من المُشْرِقات الآنسات كأنّها
سقيَّة برديٍّ توسَّطتِ الحفا[١٤]

قال الميرزا الأفندي في وصفه: الفاضل العالم العابد الورع، الأديب النحوي اللغوي الشاعر، الكامل الفقيه... الشيخ الثقة، من علمائنا[١٥].

وقال السماوي: كان فاضلاً أديباً مُنشِئاً مشارِكاً في العلوم...[١٦]

وقال إسماعيل باشا: أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن علي السكوني [كذا] الحلّي اللغوي النحوي الشيعي[١٧].

ضبطه

اشتهر ابن السكون بضبط الكتب وتصحيحها، ولاسيَّما (الصحيفة السجَّاديَّة)، و(المصباح الكبير) و(المصباح الصغير)، و(نهج البلاغة).

قال الميرزا الأفندي: وهو الشيخ الثقة من علمائنا، والقائل بقول لفظ «حدّثنا» في أوّل (الصحيفة) الكاملة على ما في النسخ المشهورة منها[١٨]، ثمّ إنّ ابن السكون هذا في طبقة عميد الرؤساء هبة الله بن حامد، ويروي السيّد شمس الدين فخّار بن معد الموسوي ـ تلميذ ابن إدريس ـ (الصحيفة) عن ابن السكون وعميد الرؤساء.

وكان في نسخة (الصحيفة) لابن السكون اختلافات مع النسخ المشهورة، وقد ضبط علماؤنا جميع اختلافات نسخها نقلاً عن خطّه الذي وجده الشيخ علي بن أحمد المعروف بالسديدي الحلّي.

وكذلك له اختلافات نسخ المصباح الكبير والمصباح الصغير، كلاهما للشيخ الطوسي، وقد ضبط جماعة من الأصحاب هذه الاختلافات أيضاً نقلاً من النسخة التي كانت بخطّه فيهما[١٩].

وكتب ابن السكون بخطّه وضبطه كتاب (الأمالي) للشيخ الصدوق، وتاريخ كتابتها ٥٦٣ق[٢٠].

وكتب نسخة من النهاية للشيخ الطوسي، وقد قابل علي بن أحمد السَّديديّ نسخته عليها بتاريخ ٣ ربيع الثاني ٦٦٣ ق[٢١].

النسخُ المعتمدةُ في الدراسة

اعتمدنا في هذه المقالة على ثلاث نسخ:

١ـ نسخة مكتبة آية الله البروجردي في قم، المحفوظة برقم ١٥٧، وهي في ٢٤٣ صفحة بخطّ النسخ الجيّد. وهذه النسخة منقولة من خطّ الشيخ الحسن بن يحيى ابن كرم[٢٢]، إذ تمَّ استنساخها في شهر رمضان سنة ٦٤٧هـ، وقد قابل السديدي هذه النسخة وصحّحها من نسخة نقلها من خطّ ابن السكون.

فهذه النسخة ونسخة ابن السكون كلاهما بخطّ السديدي. وكتب في هامش الصفحة الأخيرة من هذه النسخة: كلّ ما في هذا الكتاب من علامة مكتوبة (س) فهو الشيخ العلّامة ابن السكون.

٢ـ النسخة الموجودة في المكتبة السليمانية في إسطنبول، من مخطوطات رئيس الكتّاب، المحفوظة برقم ٩٤٣، وقد كتب في آخرها: «تمّ الكتاب بحمد الله من نسخة كتبها علي بن محمّد بن السكون».

٣ـ نسخة ابن الحدّاد البجلي، وهي ناقصة، تبدأ من أواخر الخطبة ١٩٤، وهي أجود نسخة من حيث ضبطها لضبط ابن السكون، دون أيّ لبس، وكاتبها من العلماء الأدباء ومن تلامذة العلّامة الحلّي. قال كاتبها: تمّ الكتاب... من نسخة بخطّ علي بن محمّد بن السكون الكاتب، وما خالف خطّه أُعلِم عليه بالحمرة أو كُتب بالحمرة، وما عدا ما هو مكتوب بالحمرة أو مُعْلَم عليه فهو حكاية خطّه وصورة ضبطه، خلا ما تحقّقت أنّه غلط صريح وتصحيف بيّنٌ ولحن ظاهر، زهق به قلمه، وسبق إليه

ظنّــه وتوهّمــه، فإنّــي أضربتُ عنه وعدلتُ إلى ما هو الصحيح فسطرته حســب ما قرأتُه وسمعتُه وعلى سَنَن ما أُخْبِرتُ به ونقلتُه.

منهج ابن السكون في نهج البلاغة

لعلَّ مــن الغريــب أن نجد ممن ترجمــوا لابــن الســكون أنّهــم لم يذكــروا جهــوده في نهــج البلاغة نسخاً وضبطاً، خلافاً لما ذكروه له من جهود في (الصحيفة السجّاديّة) و(مصبــاح المتهجّــد) الكبيــر والصغير وسائر الكتب والمصادر، ولم يضبــط جماعة مــن الأصحاب اختلافات نسخ نهجه عن غيرها.

ولعلّ هذا الأمر هو الذي أَسـهَمَ في فقدان نســخ (النهج) التي بخطّ ابن الســكون، فلم نعثــر إلى اليوم إلّا على أربع نســخ من النهج مقابلة مــع خطّــه مباشــرة أو بواســطة، اثنتــان منها مقابلة على نســخة ابن الســكون، وهما نسختا ابن كرم ونسخة إسطنبول.

والنســخة الثالثة هي نسخة ابن الحــدّاد البجلي المقابلة على نســخة بخطّ ابن الســكون، وهي نســخة غايــة فــي الدقّــة والجــودة إلّا أنّها كثيرة النقص.

والنســخة الرابعــة هي نســخة الرُّبّان، المكتوبة من نســخة بخطّ شمس الدين محمّد بن خزعل، الذي كتبها لنفسه من نسختين إحداهما قوبلت بنســخة بخطّ ابن السكون. وهذه النســخة لم يتميّز فيها ضبط ابن السكون بخصوصه.

واعلم أنّ اختلافات نســخ النهج الشــريف تنقســم إلى عدّة أقســام مهمّة، وهي:

١ـ مــا كان غلطــاً قطعيّاً من النسّاخ، وهو قليلٌ جدّاً.

٢ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير، كمــا في الخطبــة الثالثــة؛ إذ جاء: (أزهــد عنــدي) و(عنــدي أزهد)، وفــي الخطبة ١٦: جاء: (ومقصّر في النارهوى) و(ومقصّر هوى في النار).

٣ـ الاختلاف في حروف العطف وعدمها، ووجود حرف بدل الحرف، كما في الخطبة ١٦ إذ ورد: (لا يهلك على التقوى) و (ولا يهلك على التقوى)، وكما في الخطبة الثانية؛ إذ ورد: (فانهارت دعائمه) و(وانهارت دعائمه).

٤ـ الاختلاف من حيث التذكير والتأنيث في الأفعال المضارعة، كما في الخطبة الأولى: إذ ورد (رسل لا تقصّر بهم) و(رسل لا يقصّر بهم)، والخطبة ٢٣: (ويُغْرى) (وتُغْرى).

٥ـ الاختلاف في حروف الجرّ، فإنّ بعضها يقوم مقام بعض، كما في الخطبة ٢٦: (فضننت بهم عن الموت) و(فضننت بهم على الموت)، والخطبة ٥٢: (وهداه إيّاكم للإيمان) (وهداه إياكم إلى الإيمان).

٦ـ الاختلافات التي ربّما تكون غير مقصودة للأدباء والكُتّاب، كما في رسم الكلمة اليائيّة الواويّة، كما في الخطبة ٣: (محلّ القطب من الرحى) و (محلّ القطب من الرحا). وفي ضبط الكلام عند الوقف والوصل، كما في الخطبة ١٥٣: (واستخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبراً). وبالهمز والتسهيل، كما في الخطبة الأولى: (وأعصف مجراها وأبعد منشَاها)، والإدغام وعدمه، مثل (ألّا) و (أن لا) في جميع موارد الكتاب.

٧ـ اختلاف الأفعال بالتضعيف وعدمه، كما في الخطبة الأولى: (ووتد بالصخور) و (ووتّد بالصخور)، (وغرز غرائزها) و(وغرّز غرائزها).

٨ـ الاختلاف في ضبط عين الأفعال الماضية، كما في الخطبة ١٤: (سَفِهَتْ حلومكم) و(سَفُهَتْ حلومكم) والخطبة ٥٢: (وكَدِرَ منها) (وكَدَرَ منها) (وكَدُرَ منها).

٩ـ الاختلاف في ضبط عين الأفعال المضارعة، كما في

الخطبة ٣: (يَخْضَمون مال اللّه) (يَخْضِمون مال اللّه)، والخطبة ١٠: (لا يَصْدُرون) و(لا يَصْدِرون).

١٠ـ الاختلاف بالبناء للمجهول والمعلوم، كما في الخطبة ٤: (وَقِرَ سمعٌ) و(وُقِرَ سمعٌ).

١١ـ الاختلاف بالماضي والمضارع، كما في الخطبة ٢٣: (وقد يجمعهما اللّه) (وقد جمعهما اللّه)، والحكمة ٣٩: (يَرْحَم اللّه خبّاباً) (رَحِمَ اللّه خبّاباً).

١٢ـ الاختلاف باللزوم والتعدية، كما في الخطبة ٣: (ويَكْثُرُ العِثارُ فيها والاعتذارُ منها) (ويُكْثِرُ العِثارَ فيها والاعتذارَ منها)، وفي الكتاب ٥٣: (حتّى تَكْثُر همومُك) و(حتّى تُكْثِر همومَك).

١٣ـ تعدّي الفعل بنفسه وبحرف الجرّ، كما في الخطبة ٥١: (ومنعوهم الماء) و(ومنعوهم من الماء)، والخطبة ٧٨: (وتُخَوِّفُ الساعةَ) و (وتُخَوِّفُ من الساعة).

١٤ـ الاختلاف بالتعدية إلى مفعول أو مفعولين، كما في الخطبة ١: (وألْزَمَ أشْباحَها) و(وألزَمَها أشباحَها).

١٥ـ الاختلاف في الثلاثي المجرّد والمزيد، كما في الخطبة ١: (ولأَمَ بين مختلفاتها) (ولائَمَ بين مختلفاتها)، والخطبة ٣٢: (أو منبر يَفْرَعُه) و(أو منبر يَفْتَرِعُه).

١٦ـ الاختلاف في ضبط الكلمات لغويّاً دون تبدّل المعنى، كما في الخطبة ١: (البَلَّة) و(البِلَّة)، والخطبة ٢:(حقّ الولاية) و(حقّ الوَلاية). وهذا النوع من الاختلاف كثير جدّاً.

١٧ـ الاختلاف في ضبط الكلمات لغويّاً مع تبدّل المعنى، كما في الخطبة ١:(مَيْدانَ أرضه) و(مَيَدانَ أرضه)، فالمَيْدان هو المحلّ والمكان، والمَيَدان هو التحرّك. والخطبة ٢٦: (وصبرتُ على أخذ الكَظْم)، و(وصبرتُ على

أخذ الكَظَـم)، والكَظْم: اجتراع الغيـظ، والكَظَم: مخـرج النَّفَس. والخطبة ٨٢: (غُرُور حائلٌ) و(غَرُور حائلٌ)، والغُرور: ما يُغْتَرُّ به من متاع الدنيا، والغَرور: الشيطان.

١٨ـ الاختلاف بالإفراد والجمع، كمـا في الخطبـة ٢: (هم أسـاس الدين) و(هم آساس الدين)، والخطبة ٨٢:(سُدَف الرَّيْب) و(سُدَف الرِّيَب).

١٩ـ الاختلاف بالجموع، كما في الخطبة ١٤:(سـفهت حلومكم) و(سفهت أحلامكم).

٢٠ـ الاختلافـات الناتجـة عن تعـدّد وجـوه الإعـراب، واختلاف مـدارس النحو، كمـا في الخطبة ١: (إذ لا منظورَ إليه) و(إذ لا منظورٌ إليـه)، والخطبة ٨٥: (وإنّ أغشّـهم لنفسـه أعصاهـم لربّـه، والمغبونُ [والمغبونَ] من غَبَنَ نفسه، والمغبوطُ [والمغبوطَ] من سـلم دينه، والسعيدُ [والسعيدَ] من وُعِظَ بغيره، والشقيُّ [والشقيَّ] من انخدع لهواه وغروره).

٢١ـ الاختلاف في رسم الكلمات المتقاربة الرسم، خصوصاً في النقط، كمـا فـي الخطبـة ١: (واجتالتهم) و(واحتالتهم)،(واختالتهم)،(واختبلتهم)، (واختتلتهم)، (واغتالتهم).

٢٢ـ الاختـلاف فـي الكلمات غيـر المتقاربـة في الرسـم، كما في الخطبـة ٣: (وقَسَـطَ آخرون)، و(وفَسَقَ آخرون)، والخطبة ١٦: (لما بويع بالمدينة)، و(لما بويع بالكوفة)، والخطبـة ٢٢:(ويُحيـون بدعـة)، و(ويُحيون فتنة).

٢٣ـ الاختـلاف بزيـادة المـتن ونقصه، كما في الخطبة ١: (يفرق بهـا بـين الأذواق) و(يفـرق بها بين الحقّ والباطـل والأذواق)، والخطبة ١٩٢:(مـا يُعرف له سـبب ولا علّة) و(ما يُعرف له سبب ولا مَسَّ يدَ علّة).

وهنـاك اختلافات أخرى لوجوه واعتبارات أخرى، لكن ما ذكرناه هو عمدة الاختلافات.

تعدّد وجوه الضبط عند ابن السكون

ممّا يلفت النظر أنّ كلّ نسخة تدّعي ضبط ابن السكون بشكل يغاير ما في الأخرى، فنسخة إسطنبول قد توافق أحياناً نسخة ابن كرم في ضبط ابن السكون وقد تخالفها. وللتأكّد راجعنا نسخة ابن الحدّاد البجلي الحلّي فرأيناها توافق نسخة ابن كرم تارة، وتوافق نسخة إسطنبول تارة أخرى، وقد تخالفهما معاً أو توافق إحداهما وتخالف الأخرى. غير أنّ الحصيلة النهائيّة أوصلتنا إلى أنّ نسختي ابن كرم وابن الحدّاد أكثر توافقاً في ضبط ابن السكون.

وها هنا احتمالات ثلاثة:

الأوّل: أنّ ابن السكون كتب بعض النسخ من النهج وضبطها، ثمّ إنّه بمرور الزمان وقف على ضبوط أخرى فكتبها في نسخته الأخرى من النهج.

الثاني: أنّ ابن السكون لم يلتزم برواية واحدة للنهج، بل كان يستنسخ ويضبط النسخ، وقد عُرف بجودة الخطّ والضبط، فما وُجِد بخطّه لا يُمثِّل بالضرورة وجهة نظره، بل هو ضبط النسخة التي استنسخها. ويؤيّد هذا الوجه أنّنا لم نقف له على سند متّصل إلى النهج الشريف.

ويؤيّد هذا الاحتمال وصف ابن السكون بـ«الكاتب». ففي آخر نسخة ابن الحدّاد البجلي الحلّي: تمّ الكتاب... من نسخة بخطّ علي بن محمّد بن السَّكُون الكاتب.

وقال ابن النجّار: أبو الحسن بن أبي طالب الكاتب... وكان بليغاً شاعراً مجيداً... سافر إلى مدينة النبيﷺ وأقام بها، وصار كاتباً لأميرها[٢٣].

وكونه كاتباً وناسخاً لا يمنع من كونه ضابطاً ومطّلعاً على نسخ النهج، إذ هو ليس محضَ كاتبٍ، بل هو من فقهاء الطائفة، وكان

يدرّس الفقه، كما أنّه من أعيان أدباء عصره. فكتابته ونسخه ليسا بمعنى مهنة الكتابة والاستنساخ بحيث ليس له أيّ رأي في الكتاب المستنسخ، بل هو صاحب رأي وضبط وفقه ونظر وأدب ينعكس على ما يكتبه ويستنسخه.

الثالث: أنّ ابن السكون كان يدرّس النهج ويدقّق وجوهه الإعرابيّة واللغوية والصرفية والبلاغية، فكان يُعمل نظره في ذلك، فيُدوِّن كلّ ما يستجدّ عنده من وجوهٍ، فضلاً عن وقوفه عند رواياته المختلفة. وهذا منهج العلماء إذْ إنّهم مضافاً إلى ما وعوه من الرواية، كانوا يُعملون نظرهم ويثبتونه في الهوامش.

ومن أمثلة ذلك ما في آخر الكتاب ٤٥، وهو قوله عليه السلام: (أين القرون الذين غَرَرْتِهِمْ بمداعيكِ؟ أين الأمم الذين فَتَنْتِهِمْ بزخارفك؟... لأقمتُ عليكِ حدودَ الله في عبادٍ غَرَرْتِهِمْ بالأماني، وأممٍ أَلْقَيْتِهِمْ في المَهاوي، وملوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إلى التلف، وأَوْرَدْتِهِمْ مواردَ البلاء؟)، ففي نسخة أخرى تختلف عن نسخة ابن السكون ـ التي قوبلت عليها نسخة ابن كرم ـ وردت هذه الأفعال كلّها مع الياء:(غررتيهم)، و(فتنتيهم)،... إلخ. وهذه لغة لبعض العرب، وليست هي اللغة المشهورة، لذلك أُثبتت الأفعال في المتن بدون ياء، وذُكِرَتْ في الهامش مع الياء بوصفها نسخة بدل.

وهذا يدلّ على ما قلناه من إعمال الأدباء آراءهم وبيانهم عدّة وجوه، وانتخابهم الأفصح أو الأشهر الأعرف عند العرب.

والذي نميل إليه هو الاحتمال الثالث، لأنّ ذلك هو المتعارف في كتب غريب القرآن والحديث والدعاء والأدب، فإنّ الأديب يُعمل نظره ويحقّق ويدقّق ويوازن لبيان الوجوه وما يحتمله الكلام، ثمّ إنّه ربّما يرجّح بعض الوجوه وربّما لم يرجّح.

ويدعَمُ كلامنا ما في كتاب صفوة الصفات في شرح دعاء السمات للكفعمي، إذْ قال: وفي دعاء رجب: (وبُهْم الصافّين)، وقد ضبطها ابن السكون برفع الباء وسكون الهاء (بُهْم)، وقد يكسرهما معاً (بِهِم)، وكتب عليهما: (معاً)، وضبطها أيضاً في بعض مصابيحه برفع الباء والهاء (بُهُم)، ورأيت في كثير من نسخ المصابيح (بُهَم) برفع الباء ونصب الهاء[٢٤].

وهذا صريح في تعدّد ضبوطه والوجوه التي تحتملها الكلمة، وصريح في أنّ نسخه التي استنسخها من مصباح المتهجّد متعدّدة، وضبط بعضها يختلف عن بعضٍ في المورد الواحد.

ويعضد ما قلناه ما تقدّم عن ياقوت وغيره من أنّ ابن السكون كان يصحّح الكتب بعد التدقيق والفهم، وما تقدّم من اختلافات ضبط (الصحيفة السجاديّة) واختلافات نسخ المصباح الكبير والصغير.

زد على ذلك أنّه كان يُقرئ (الصحيفة السجّاديّة) ويضبطها ويحرّر ألفاظها، ففي إجازته للشيخ شمس الدين الحارثي اللويزي الجبعي العاملي قال: وبعد، فقد قرأ عَلَيّ هذه الصحيفة الكاملة المولى الأعظم، الفاضل المكرّم،... قراءة مهذّبة مرضيّة محرّرة ألفاظها، مبيّنة معانيها بنُسخها المنقولة[٢٥].

ومهما يكن من أمر، فإنّ جميع ضبوطه من النمط الأعلى من الصحّة والبلاغة، ولها وجه وجيه صحيح، وذلك ما يفيد في تعدّد وجوه البلاغة في متن نهج البلاغة الشريف، كيف لا؟ والقائل إمام البلاغة والجامع أشعر الطالبيّين، والضابط من كبار أدباء عصره وزمانه.

فوائد مهمّة

بعد أن عرضنا لك سابقاً أقسام اختلافات نسخ النهج الشريف المتعدّدة، نعرض ما تيقّنّا أنّه من منهج

ابن السكون في ضبطه لنهج البلاغة:

١ـ نسخة ابن كرم كتبت بإسكان الهاء في مثل (وَهْوَ) (فَهْوَ) (وَهْيَ) (فَهْيَ)، عدا موارد نادرة. وكذلك ضبطت بالسكون في نسخة ابن الحدّاد البجلي، ممَّا يدلُّ على أنَّ ذلك ضبط ابن السكون.

وأمّا نسخة إسطنبول فتارة وردت الهاء فيها بالسكون، وتارة بالتحريك، وتارة دون حركة، لكنّ أغلب مواردها كُتِبَتْ بالسكون، وهذا يدلّ على منهج ابن السكون هنا، غير أنّ كاتب نسخة إسطنبول لم يكن من الطراز الأوّل من الأدباء، فلم يتنبّه لذلك.

٢ـ إنّ كلمة (الشام) فيها عند العرب عدّة لغات: (الشَّأْم) و(الشَّأَم) و (الشَّام) و(والشَّآم). والذي في نسخة ابن كرم ونسخة إسطنبول لغة الهمز والسكون (الشَأْم)، وكذلك هي في نسخة ابن الحدّاد البجلي.

٣ـ قوله عليه السلام: (وايمُ اللّه)، ورد في نسخة ابن كرم بهمزة الوصل (وايم اللّه)، وورد في نسخة إسطنبول بالهمزة المكسورة (وإيمُ اللّه) في الأعمّ الأغلب، وربّما وردت قليلاً مهملةً دون همزة ومن دون وصل.

٤ـ إنّ منهج ابن كرم ـ ونسخة ابن الحدّاد وبالتبع لها ضبط ابن السكون ـ كسر الحرف الأوّل الساكن ـ خصوصاً الميم باعتبار كثرتها في موارد النهج ـ عند التقاء الساكِنَيْن، وذلك كما في الخطبة ٢: (وفيهِمِ الوصيّة)، والخطبة ٧: (فرَكِبَ بهِمِ الزَّلَلَ)، والخطبة ١٢: (سَيَرْعَفُ بهِمِ الزّمانُ ويقوى بهِمِ الإيمانُ)، والحكمة ٤٤٧: (بأيديهِمِ السياط وألسنتِهِمِ السلاط)، مع أنّ الرأي السائد هو ضمّها بناءً على أنّ هذه الميم مضمومة في الأصل فتعود إلى أصلها، والكسر جائز هنا بناءً على الإتْباع عند التقاء الساكنين.

والحرف الساكن الأوّل في نسخة إسطنبول من دون حركة في

الأعمّ الأغلب.

٥ـ ومثل المورد السابق ضبط الكلام عند الوقف والوصل، كما في الخطبة ١٥٣ من قوله عليه السلام: «واستخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبراً»، فالميم من (غفلتهم) لك أن تسكّنها إن وقفت، ولك أن تضمّها أو تكسرها إن وصلت الكلام. وهنا منهج ابن السكون هو كسر الميم عند الوصل.

وكذلك قوله: (استقبلوا)، لك أن تصله مع ما قبله ولك أن تقطعه عنه بوصفه بداية فقرة كلاميّة جديدة.

وربّما لم توضع حركة الميم في نسخة ابن الحدّاد البجلي ـ برغم دقّتها ـ وكذلك في نسخة إسطنبول؛ إذ لم توضع همزة وصلٍ أو قطعٍ في قولِهِ: (استقبلوا)؛ وذلك لتساهلهم في هذه الموارد؛ لأنّها منوطة بكيفيّة الكلام.

٦ـ إنّ منهج ابن السكون في مورد التقاء الواو الساكنة مع ساكن بعدها ـ مثل قوله عليه السلام في الحكمة ١٢١: (تَوَقَوا البرد)، وقوله عليه السلام في الحكمة ٤٤٧: (هم والله رَبَّوا الإسلام) ـ هو ضمّ الواو (تَوَقَوُا البرد) و(رَبَّوُا الإسلام)، وهي الوجه الصحيح، ويجوز كسر الواو على وجه ضعيف.

وقد اتفقت نسختا ابن كرم وابن الحدّاد البجلي على هذا الضبط عند ابن السكون، لكن الواو وردت في نسخة إسطنبول من دون ضبط؛ وذلك لضعف ضبط كاتب النسخة.

٧ـ إنّ كثيراً من مباني وضوابط ابن السكون يُوافقها ما في نسخة مكتبة آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني المحفوظة برقم ٥٢٠٦٥ برواية كمال الدين الحسيني ـ من النسخ الأربع التي حقّقها الشيخُ قيس العطّار[٢٦] ـ فأغلب الظنّ ـ بل المطمئنّ به ـ أنّ كمال الدين الحسيني كان ناظراً إلى ضوابط ابن السكون ومبانيه.

الهوامش:

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٣٣.

(٢) مقتل الحسين، للخوارزمي ٢: ٧٦.

(٣) لمزيد الاطلاع حول جهود العلماء والأدباء في الصحيفة السجّادية انظر مقالة: (جهود الأدباء في الصحيفة السجّادية)، للشيخ قيس العطّار وقاسم شهري في كتاب أربع مقالات حول الصحيفة السجّاديّة، طهران، المكتبة الوطنية، الأولى، ١٣٩٣ ش.

(٤) رياض العلماء ٤: ٢٤١.

(٥) ذيل تاريخ بغداد ٤: ٦٢ / الترجمة ٨٦٩.

(٦) وقد ورد بهذا الضبط في آخر نسخة ابن الحدّاد البجلي الحلّي المحفوظة في خزانة المكتبة العباسية على مشرّفها التحيّة والسلام.

(٧) وقد ورد بهذا الضبط في حاشية نسخة ابن كرم المحفوظة في مكتبة البروجردي.

(٨) رياض العلماء ٤: ٢٤٢.

(٩) ذيل تاريخ بغداد ٤: ٦٢ / الترجمة ٨٦٩.

(١٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢: ١٩٩/ الترجمة ١٧٨٤.

(١١) معجم الأدباء ١٥: ٧٥/ الترجمة ١٥.

(١٢) معجم أساتذة وطلبة حوزة الحلّة العلميّة أيّام ازدهارها الفكري (٥٦٢- ٩٥١ هـ)، د. عبد الرضا عوض: ٣٧.

(١٣) معجم الأدباء ١٥: ٧٥/ الترجمة ١٥.

(١٤) الوافي بالوفيات ٢٢: ٨٤.

(١٥) رياض العلماء ٤: ٢٤١.

(١٦) الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٨٢.

(١٧) هديّة العارفين ١: ٧٠٤.

(١٨) وهاهنا بحث في أنّ القائل: (حدّثنا) هل هو ابن السكون أو عميد الرؤساء؛ لأنّهما في طبقة واحدة، وكلاهما من تلامذة ابن العصّار اللغوي. انظر: رياض العلماء ٤: ٢٤٣- ٢٤٤.

(١٩) رياض العلماء ٤: ٢٤١- ٢٤٢.

(٢٠) انظر: الذريعة ٢: ٣١٥/ الرقم ١٢٥١.

(٢١) انظر: الذريعة ٢٤: ٤٠٤/ الرقم ٢١٤١.

(٢٢) لم نقف على ترجمته، لكننا وَقَفنَا على ترجمة الشيخ المقري النحوي مهذّب الدين محمّد ابن يحيى بن كرم، وهو فاضل جليل أديب، له مصنّفات، يروي العلّامة عن أبيه عنه. وهنا يلاحظ اهتمام هذا الشيخ العالم بالأدب، ويلاحظ كذلك اتحاد طبقته مع الحسن بن يحيى بن كرم، فإنَّ محمَّد بن يحيَى بن كرم روى عن ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ، كما روى عن أبي البقاء العكبري المتوفّى سنة ٦١٠ هـ، وقرأ سديد الدين ابن المطهّر على يحيى بن كرم سنة ٦١٩ هـ؛ فلعلّ الحسن ابن يحيى بن كرم هو أخو محمّد بن يحيى بن كرم، وكلاهما من الأدباء الفضلاء. (انظر ترجمة مهذّب الدين محمّد بن يحيى بن كرم في أمل الآمل ٢: ٣١٣/ الترجمة ٩٥١، وبحار الأنوار ١٠٤: ٩٨ و١٠٢ و١٧٢- ١٧٣ و٩٩ وج ١٠٦: ٦٢ و٦٣ و٦٩، وتراجم الرجال ١: ٤٩٧/ الترجمة ٩٢٦).

(٢٣) ذيل تاريخ بغداد ٤: ٦٠/ الترجمة ٨٦٩.

(٢٤) صفوة الصفات في شرح دعاء السمات: ٩٤.

(٢٥) تكملة أمل الآمل: ٣٥٦/ الترجمة ٣٤٥.

(٢٦) انظر: نهج البلاغة تحقيق وضبط النصّ على أربع نسخ خطّيّة قديمة، تحقيق الشيخ قيس العطّار، قم، مؤسسة الرافد، ١٤٣١ هـ، ١٨.

المصادر والمراجع

* أمل الآمل، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، بغداد، مكتبة الأندلس.
* بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، بيروت، مؤسّسة الوفاء، الثانية، ١٤٠٣هـ.
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، الأولى، ١٣٨٤هـ.
* تراجم الرجال، السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤١٤هـ.
* تكملة أمل الآمل، السيّد حسن الصدر، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٦هـ.
* الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، بيروت، دار الأضواء، الثالثة، ١٤٠٣هـ.
* ذيل تاريخ بغداد، ابن النجّار البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧هـ.
* رياض العلماء وحياض الفضلاء، الميرزا عبد الله الأفندي، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٣هـ.
* صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي، صفّ حروفي بتحقيق الشيخ عبد الحليم الحلّي.
* الطليعة من شعراء الشيعة، الشيخ محمّد السماوي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٢هـ.
* معجم الأدباء، ياقوت الحموي، بيروت، دار الفكر، الثالثة، ١٤٠٠هـ.
* معجم أساتذة وطلبة حوزة الحلّة العلميّة أيّام ازدهارها الفكري (٥٦٢ ـ ٩٥١هـ)، الدكتور عبد الرضا عوض، الحلّة، دار الفرات، ١٤٣٦هـ.
* مقتل الحسين، الموفّق بن أحمد الخوارزمي، تحقيق الشيخ محمّد السماوي، قم، أنوار الهدى، الأولى، ١٤١٨هـ.
* نهج البلاغة تحقيق وضبط النصّ على أربع نسخ خطّيّة قديمة، تحقيق الشيخ قيس العطّار، قم، مؤسسة الرافد، ١٤٣١هـ.
* نهج البلاغة، النسخة الموجودة في المكتبة السليمانية في إسطنبول من مخطوطات رئيس الكتّاب، برقم ٩٤٣.
* نهج البلاغة، نسخة ابن الحدّاد البجلي المحفوظة في خزانة المكتبة العباسية في كربلاء المقدّسة.
* نهج البلاغة، نسخة ابن كرم المحفوظة في مكتبة البروجردي في قم برقم ١٥٧.
* نهج البلاغة، نسخة مكتبة آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني في قم، المحفوظة برقم ٥٢٠٦٥.
* هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
* الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.